الخشوع في الصلاة

عناصر الخطبة:

١- تعريف الخشوع.

٢- حكم الخشوع في الصلاة.

٣- فوائد الخشوع في الصلاة.

٤- الأسباب التي تعين علي الخشوع.

٥- نماذج للخاشعين.

مقدمة: إن الصلاة التي يريدها الإسلام والتي تشتمل على الفضائل ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب، أو تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديك، كلا وإنما الصلاة التي يريدها الإسلام هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله لأن القصد الأول من الصلاة هو تذكير الإنسان بربه عز وجل {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} فالصلاة التي يريدها الإسلام لابد فيها من حضور القلب والعقل معا فالقلب يستحضر عظمة المعبود والعقل يتدبر فيما يتلى من القرآن، وبحضور القلب والعقل تسكن الجوارح ويتم الخشوع، وتؤتي الصلاة ثمارها، ويحظى المصلي بفضلها وثوابها وتقوى صلته بربه فيسعد في الدنيا والآخرة يقول ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ. [١]

ـ تعريف الخشوع

الخشوع لغة: الْخُشُوعُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفَاضُ، وَالذُّلُّ، وَالسُّكُونُ، قَالَ تَعَالَى {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} [طه: ١٠٨] أَيْ سَكَنَتْ، وَذَلَّتْ، وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ وَصْفُ الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، وَهُوَ يُبْسُهَا،

[١] العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع (ص: ٩٤)

وَانْخِفَاضُهَا، وَعَدَمُ ارْتِفَاعِهَا بِالرَّيِّ وَالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**} [فصلت: **٣٩**]. (٢)

الخشوع اصطلاحاً:

قال ابن القيم رحمه الله : الْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلاَّمِ الْغُيُوبِ. (٣)

فالخشوع هو: سكون القلب وخضوعه الذي يترتب عليه سكون الجوارح، وهو مبني على

حضور القلب مع الله تعالى ومع الصلاة.

والخشوع هو روح الصلاح وجوهرها، ولذلك جعله الله تعالى أول صفات المؤمنين الذين حكم لهم بالفلاح في قوله تعالى {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ**} [المؤمنون: **١ - ٢**] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي خائفون ساكنون.

قال الطبري رحمه الله : أي الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ مُتَذَلِّلُونَ لِلَّهِ بِإِدَامَةِ مَا أَلْزَمهُمْ مِنْ فَرْضِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَإِذَا تَذَلَّلَ لِلَّهِ فِيهَا الْعَبْدُ رُؤِيَتْ ذِلَّةُ خُضُوعِهِ فِي سُكُونِ أَطْرَافِهِ، وَشُغْلِهِ بِفَرْضِهِ، وَتَرْكِهِ مَا أُمِرَ بِتَرْكِهِ فِيهَا. (٤)

أصل الخشوع ومحله وصفته:

فأصل الخشوع كما قال ابن رجب رحمه الله : أصل الخشوع هو: لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته.

---

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٦)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٠)

ومحله القلب ويظهر أثر ذلك على الجوارح:

فَإِذَا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له، كما قال ﷺ : ((**أَلاَ إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**)). فَإِذَا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه، وسائر الأعضاء. لهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: ((**خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي**)).

ورأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة فَقَالَ: لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه.(٥)

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله : كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الْجَنَاحَ.(٦)

قال ابن القيم: وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ(٧)

أما إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح ولم يكن في القلب شيء منه فهذا خشوع النفاق.

قال حُذَيْفَةُ بن اليمان رضي الله عنهما: إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ.

وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه رَجُلاً طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ. (٨)

حكم الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة واجب على الصحيح للأدلة الآتية:

١ – قال الله تعالى: {**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**} [البقرة: ٤٥]

---

(٥) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٩٠)

(٦) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٦١)

(٧) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

(٨) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَهَذَا يَقْتَضِي ذَمَّ غَيْرِ الْخَاشِعِينَ. . . . وَالذَّمُّ لَا يَكُونُ إلَّا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْخَاشِعِينَ مَذْمُومِينَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الْخُشُوعِ. (٩)

وعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّه قال: كُلُّ صَلاَةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا الْقَلْبُ فَهِيَ إِلَى الْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: أَجْمَعَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ منها. (١٠)

قال القرطبي رحمه الله : اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْخُشُوعِ، هَلْ هُوَ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ أَوْ مِنْ فَضَائِلِهَا وَمُكَمِّلاَتِهَا عَلَى قَوْلَيْنِ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ. (١١)

٢- وقوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١ - ١١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَرِثُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ. وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرِثُهَا غَيْرُهُمْ. وَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَى وُجُوبِ هَذِهِ الْخِصَالِ. إذْ لَوْ كَانَ فِيهَا مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَكَانَتْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ تُورَثُ بِدُونِهَا لِأَنَّ الْجَنَّةَ تُنَالُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ دُونَ الْمُسْتَحَبَّاتِ. وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ إلَّا مَا هُوَ وَاجِبٌ. (١٢)

---

(٩) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣)

(١٠) تفسير الرازي(٢٣/ ٢٦٠)

(١١) تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٤)

(١٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٤)

قال الغزالي رحمه الله : تحت باب بيان اشْتِرَاطُ الْخُشُوعِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ

اعْلَمْ أَنَّ أَدِلَّةَ ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ((أقم الصلاة لذكري)) وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ وَالْغَفْلَةُ تُضَادُّ الذِّكْرَ فَمَنْ غَفَلَ فِي جَمِيعِ صَلاَتِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُقِيمًا لِلصَّلاَةِ لِذِكْرِهِ!. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ((وَلَا تَكُنْ مِنَ الغافلين)) نهيٌ وظاهره التحريم. . . . وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمُصَلِّيَ مُنَاجٍ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْكَلاَمُ مَعَ الغفلة ليس بمناجاة ألبتة. (١٣)

فوائد الخشوع في الصلاة

أولاً: الخشوع يجعل الصلاة محبوبة ويسيرة على المصلي، قال الله تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}** [البقرة: ٤٥]

قال الشيخ السعدي رحمه الله : {وَإِنَّهَا} أي: الصلاة {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ} فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. (١٤)

- بل إنّ الخشوع يجعل الصلاة مفزعاً للعبد من همومه وأحزانه

فعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى. (١٥)

وقال صهيب الرومي رضي الله عنه وهو يحكي حال نبي من الأنبياء وأصحابه: وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا، فَزِعُوا إِلَى الصَّلاَةِ. (١٦)

---

(١٣) إحياء علوم الدين (١/ ١٥٩)

(١٤) تفسير السعدي (ص: ٥١)

(١٥) رواه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٨٥٨)

(١٦) أحمد (٦/ ١٦).

قال ابن القيم رحمه الله : وَلِلصَّلاَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ. (١٧)

ثانياً: هي أعظم أسباب حفظ الفرد والمجتمع من الفحشاء والمنكر

قال الله تعالى: {**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**} [العنكبوت: ٤٥]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ بِصَلاَتِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا". (١٨)

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: إِنَّ الصَّلاَةَ فِيهَا ثَلاَثُ خِصَالٍ، فَكُلُّ صَلاَةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِلاَلِ فَلَيْسَتْ بِصَلاَةٍ: الْإِخْلاَصُ، وَالْخَشْيَةُ، وَذِكْرُ اللَّهِ. فَالْإِخْلاَصُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْخَشْيَةُ تَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ. (١٩)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فَإِنَّ الصَّلاَةَ إِذَا أَتَى بِهَا كَمَا أُمِرَ نَهَتْهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَإِذَا لَمْ تَنْهَهُ دَلَّ عَلَى تَضْيِيعِهِ لِحُقُوقِهَا، وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا. (٢٠)

قال القرطبي رحمه الله :فَإِذَا دَخَلَ الْمُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ وَخَشَعَ وأخبت لربه وادكر أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَيَرَاهُ، صَلُحَتْ لِذَلِكَ نَفْسُهُ وَتَذَلَّلَتْ، وَظَهَرَتْ عَلَى جَوَارِحِهِ هَيْبَتُهَا، فَهَذِهِ صَلاَةٌ تَنْهَى وَلَا بُدَّ عَنِ

---

(١٧) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٥٠).

(١٨) تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٨)

(١٩) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٢)

(٢٠) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٥)

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَانَتْ صَلاَتُهُ دَائِرَةً حَوْلَ الْإِجْزَاءِ، لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا تَذَكُّرَ وَلَا فَضَائِلَ، كَصَلاَتِنَا- وَلَيْتَهَا تَجْزِي- فَتِلْكَ تَتْرُكُ صَاحِبَهَا مِنْ مَنْزِلَتِهِ

حَيْثُ كَانَ، فَإِنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ مَعَاصٍ تُبْعِدُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَرَكَتْهُ الصَّلاَةُ يَتَمَادَى عَلَى بُعْدِهِ. (٢١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ ﷺ : ((إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ)) أي صلاته. (٢٢)

- تكفير الذنوب، وتحصيل الثواب الجزيل الذي أعدَّه الله للخاشعين من عباده:

عن عُثْمَانَ بن عفان ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **((مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ))**. (٢٣)

- الصلاة ذات الخشوع هي أعظم ما يُعين المرء على أموره الدينية والدنيوية:

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}

قال السعدي رحمه الله: أمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. (٢٤)

---

(٢١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٨)

(٢٢) رواه أحمد (٢/ ٤٤٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨٩)

(٢٣) رواه مسلم (٢٢٨)

(٢٤) تفسير السعدي (ص: ٧٥)

- الخشوع يحفظ على العبد صلاته من الضياع:

عن عَمَّار بْن يَاسِرٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا**)). (٢٥)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عن النبي ﷺ ، قَالَ: ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً مَا تُقْبَلُ لَهُ صَلاَةٌ، لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ، وَلاَ يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ، وَلاَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ**)). (٢٦)

وعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((**لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى صَلاَةِ عَبْدٍ لاَ يُقِيمُ فِيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا**)). (٢٧)

فليحذر النَّقَّارون لصلاتهم والغافلون عن الخشوع في صلاتهم فلربما صلى طوال عمره ولم تُقبل له صلاة.

فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، فَمَنْ وَفَّى وُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُطَفِّفِينَ. (٢٨)

قال ابن القيم: فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه. (٢٩)

- الخشوع في الصلاة مقياس وميزان لكمال الإيمان أو ضعفه في قلب العبد:

قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ : أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلاَةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلاَ تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا. (٣٠)

---

(٢٥) رواه أحمد (٤/ ٣٢١) وصححه الألباني في صلاة التراويح (ص: ١١٩)

(٢٦) أخرجه الأصبهاني في " الترغيب " (٢٣٦ / ٢) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٨١)

(٢٧) رواه أحمد (٤/ ٢٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٧)

(٢٨) تنبيه الغافلين (ص: ٥٣٨)

(٢٩) الوابل الصيب (ص: ١٠)

(٣٠) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا.[٣١]

قال ابن القيم رحمه الله : قال الإمام أحمد رحمه الله : إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك. فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

وليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك فإذا وقف الاثنان بين يدي الله في الصلاة وقف هذا بقلب مخبت خاشع له، قريب منه سليم من معارضات السوء قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات فيرتع في رياض معاني القرآن. [٣٢]

الأسباب التي تعين على الخشوع في الصلاة:

- أولاً: العلم بالصلاة وواجباتها وسننها وشروطها وأركانها وبما يبطلها:

فالعلم هو أساس صحة الأعمال وكمالها لذلك قال البخاري في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل.

فالخشوع في الصلاة لا يكون إلا بتعلم أحكام الصلاة وصفتها، فإن أكثر الناس يصلون اليوم لأنهم وجدوا آباءهم يصلون فقلدوهم، أو وجدوا الناس يصلون ففعلوا مثلهم، لكن هلا سألوا أنفسهم: هل هذه الصلاة التي نصليها هي الصلاة التي أمرنا بها الله؟ هل هي الصلاة التي قال عنها النبي ﷺ : ((**صلوا كما رأيتموني أصلي**)). !

- ثانياً: الاستعداد للصلاة قبل دخول وقتها:

فالاستعداد للصلاة مبكراً أمرٌ مهم في تحقيق الخشوع فيها. لا كما يفعله البعض من الذين لا يأتون الصلاة إلا بعد سماع الإقامة فيأتون إليها مسرعين ويؤدونها مسرعين، وينتهون منها مسرعين ولا خشوع ولا

---

[٣١] حلية الأولياء (٥/ ١٢٤)

[٣٢] الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤١)

خضوع، لكن لو توضأت مبكراً وجئت إلى المسجد مبكراً فصليت السنة بتدبر ووعي وقرأت شيئاً من القرآن ورفعت يديك إلى الله ودعوت فإنك ستشعر بلذة العبادة وستخشع في صلاتك.

- ثالثاً: صلاة السنن النافلة قبل الفريضة.

فتعتبر السنن القبلية كمقدمة للفريضة ليتهيأ المسلم من خلالها ويُجمع قلبه وعقله حتى إذا دخل في صلاة الفريضة كان حاضر القلب والذهن.

- رابعاً: إذا أقبلت إلى الصلاة فاخلع الدنيا من قلبك خارج المسجد كما تخلع نعليك.

قال ابن كثير رحمه الله : وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلاَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِمَنْ فَرَّغ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وقُرَّة عَيْنٍ. (٣٣)

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه **، يقول:** من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ. (٣٤)

*** وإياك والالتفات في الصلاة:**

والالتفات في الصلاة نوعان: (أحدهما) التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى. (الثاني) التفات البصر وكلاهما منهي عنه. ولا يزال الله تعالى مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه. وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال ((**هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ**)) (٣٥)

---

(٣٣) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٦١)

(٣٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٧٢)

(٣٥) رواه البخاري(٧٥١) (الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٠)

خامساً: أن تصلي صلاة مودع. قُلْ لنفسك: لعلها آخر صلاة، ((والأعمال بالخواتيم)).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري ﷺ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي، وَأَوْجِزْ، قَالَ: ((إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ)). (٣٦)

إن معرفة الدنيا على حقيقتها تساعد المرء على امتثال تلك الوصية وهي أن يصلي صلاة مودّع، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: ((إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)). (٣٧)

وانظر إلى هذا المثال، فعن حاتم الأصم رحمه الله : أنه سُئل كيف يخشعُ في صلاته؟ فقال: إذا حانتِ الصلاةُ أسبغتُ الوضوءَ وأتيتُ الموضعَ الذي أُريدُ الصلاةَ فيه فأقعدُ فيه حتى تجتمعَ جوارحي، ثم أقومُ إلى صلاتي، وأجعلُ الكعبةَ بين حاجبي، والصراطَ تحتَ قدميَّ، والجنةَ عن يميني، والنارَ عن شمالي، وملَكَ الموتِ ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقومُ بين الرجاءِ والخوفِ، وأكبِّرُ تكبيراً بتحقيقٍ، وأقرأُ قراءةً بترتيلٍ، وأركعُ ركوعاً بتواضعٍ، وأسجدُ سجوداً بتخشُّعٍ، وأتبعها الإخلاص، ثمَّ لا أدري أَقُبلتْ مني أم لا. (٣٨)

سادساً: حضور القلب واستحضار عظمة الرب جلّ وعلا:

فليستحضر العبد أنه واقف بين يدي ربه، وأنه سبحانه قريب منه يراه ويسمعه ويطلع على ما في قلبه وضميره، فيستحي من ربه عز وجل أنّ يطلع عليه وهو غافل عنه. وذلك يتولد من شيئين: معرفة جلال الله – تعالى– وعظمته، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة؛ فيتولد من المعرفتين: الاستكانة والخشوع.

---

(٣٦) رواه ابن ماجة (٤١٧١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٩٠)

(٣٧) رواه البخاري (٦٤١٦)

(٣٨) إحياء علوم الدين (١/ ١٥١)

وتدبر هذا الحديث بعين بصيرتك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ))**. (٣٩)

قال ابن كثير رحمه الله : وَالْحَامِلُ عَلَى الخشوع هو الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمُرَاقَبَتُهُ وَالتُّؤَدَةُ وَالْوَقَارُ وَالتَّوَاضُعُ. (٤٠)

- سابعاً: من أسباب الخشوع في الصلاة: قطع الحركة والعبث وملازمة السكون

ولهذا لما رأى بعض السلف رجلا يعبث بيده في الصلاة قال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه.

قال أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ : الصَّلاَةُ قُرْبَانٌ، إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَرَادَ مِنْ إِمَامٍ حَاجَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً، إِذَا قَامَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ فِي مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَاقِفٌ فِيهِ عَلَى اللَّهِ يُنَاجِيهِ وَيَرْضَاهُ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، يَسْمَعُ لِقِيلِهِ، وَيَرَى عَمَلَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلْيُقْبِلْ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَسَدِهِ. (٤١)

وهكذا كان هدي السلف الصالح رحمهم الله أجمعين، فإنهم عَرَفُوا طَرِيقَ النَّجَاةِ فَوَقَفُوا عَلَى قَدَمِ الأَدَبِ فِي الْمُنَاجَاةِ، فَنَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَا رَجَاهُ، فَلَهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُ قَدْرٍ وَجَاهٍ. (٤٢)

عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مُلْقًى. (٤٣)

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنَ الْخُشُوعِ. (٤٤)

---

(٣٩) رواه ابن خزيمة (٤٧٤) رواه لحاكم (١/ ٣٦١)

(٤٠) تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٨)

(٤١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٥)

(٤٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٥)

(٤٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٤١)

(٤٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٤٠)

قَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: لَوْ رَأَيْتَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يُصَلِّي لَقُلْتَ: غُصْنُ شَجَرَةٍ يُصَفِّقُهَا الرِّيحُ، وَإِنَّ الْمَنْجَنِيقَ لَيَقَعُ هَهُنَا وَهَهُنَا مَا يُبَالِي {يعني أيام حصاره}. (٤٥)

وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ رحمه الله : لا يَلْتَفِتُ فِي صَلاتِهِ وَلَقَدِ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ لَهَا أَهْلُ السُّوقِ فَمَا الْتَفَتَ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ سَكَتَ أَهْلُ بَيْتِهِ، فَإِذَا قَامَ يُصَلِّي تَكَلَّمُوا أَوْ ضَحِكُوا عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهُمْ. (٤٦)

- ثامناً: عليك بالطمأنينة وألا تتعجل في أداء الصلاة.

فلقد صلّى رجلٌ أمام رسول الله ﷺ فلم يطمئن في صلاته، ولم يتم ركوعها ولا سجودها، فقال له النَّبِيُّ ﷺ : **((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ))**.

أما الصلاة السريعة التي لا خشوع فيها ولا اطمئنان، فهذه صلاة المنافق الذي يؤدي الصلاة تخلصاً لا إخلاصاً وتقرباً، كما وصفه رَسُولُ اللهِ ﷺ : **((تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً))**(٤٧)

ومثل هذه الصلاة لا تجزئ عن صاحبها كما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ البدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **((لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ))**. (٤٨)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فَمَنْ نَقَرَ نَقْرَ الْغُرَابِ لَمْ يَخْشَعْ فِي سُجُودِهِ ولا ركوعه. . . . فَمَنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ لَمْ يَسْكُنْ وَمَنْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَخْشَعْ فِي رُكُوعِهِ وَلَا فِي سُجُودِهِ. وَمَنْ لَمْ يَخْشَعْ كَانَ آثِمًا عَاصِيًا وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ. (٤٩)

---

(٤٥) حلية الأولياء (١/ ٣٣٥)

(٤٦) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٥)

(٤٧) رواه مسلم (٦٢٢)

(٤٨) رواه النسائي (١٠٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢١١)

(٤٩) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٨)

أقسام الناس في الخشوع في الصلاة:

الناس يختلفون في الخشوع في الصلاة على حسب حضور قلب كل إنسان، وغفلته، وإقباله على صلاته، وانصراف قلبه عن ربه، والعياذ بالله تعالى، والناس في الخشوع في الصلاة على أقسام خمسة على النحو الآتي:

أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُفَرِّطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا وَمواقِيتُهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا.

الثاني: مَنْ يُحَافِظُ عَلى مَواقِيتُهَا وَحُدودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظاهِرَةِ وَوُضوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَيعَ مُجاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوسَاوِسِ والأَفْكَارِ.

الثالثُ: مَنْ حَافَظَ عَلى حُدُودِهَا وأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوسِ والأَفْكَار فَهُوَ مَشْغولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ لِئلا يَسْرِقَ صَلاتَهَ فَهُوَ فِي صَلاةٍ وَجِهَادٍ.

والرَّابِعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلى الصَّلاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا واسْتَغرقَ قَلْبُه مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقوقِهَا لِئلا يَضِيعَ شَيءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كلّه مَصْرُوفٌ إِلى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وِإِتْمَامُهَا، قَدْ اسْتَغْرقَ قَلْبُه شَأْنَ الصلاةِ عُبُودِيَّةُ ربِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.

الخامِسُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلى الصَّلاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَه وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاظِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يرَاهُ وَيُشَاهِدهُ، وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ والْخَطَرَاتُ وارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلاةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلاتِه مشغولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيرُ الْعَيْنِ.

فالقِسْمُ الأَوَّلُ: مُعَاقَبٌ. والثاني: مُحَاسَبٌ. والثَّالثُ: مُكَفَّرٌ عَنْهُ. والرَّابِعُ: مُثَابٌ.

والْخَامِسُ: مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعلَتْ قُرَّةُ عينه في الصَّلاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُه بِصَلاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنِهِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُه باللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَينُه باللهِ تَعالى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَات. (٥٠)

(٥٠) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٣)

نماذج للخاشعين:

*** ها هو سيد الخاشعين وإمام المخبتين الخائفين من ربِّ العالمين، رسولُ الله ﷺ .**

فعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن الشخير رضي الله عنه ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ)) يَعْنِي: يَبْكِي. (٥١)

وفي رواية: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ)). (٥٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ لي رسول الله ﷺ : ((يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي)) قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ ، قَالَ: ((أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. . .})) الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠]. (٥٣)

*** وكان الصدِّيق رضي الله عنه إذا صلى بالناس لا يُسمعهم من بكائه رضي الله عنه .**

فعَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ))، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ. . . الحديث. (٥٤)

---

(٥١) رواه النسائي (١٢١٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣١٦)

(٥٢) رواه أبو داود (٩٠٤) أَزِيزُ الْمِرْجَلِ: صَوْتُهُ، يُرِيدُ غَلَيَانَ جَوْفِهِ بِالْبُكَاءِ.

(٥٣) رواه ابن حبان (٦٢٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٨)

(٥٤) متفق عليه

* وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان تحت عينيه من البكاء.

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ رحمه الله ، قَالَ: " صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه العِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَلَمَّا أَتَى عَلَى ذِكْرِ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَمِعْتُ نَشِيجَهُ، وَإِنِّي لَفِي آخِرِ الصَّفِّ.(٥٥)

وهذا عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : كَانَ إِذَا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلاَةِ، ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ

فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: جَاءَ وَقْتُ الْأَمَانَةِ الَّتِي عَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ،

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، فَلاَ أَدْرِي أَأُحْسِنُ أَدَاءَ مَا حَمَلْتُ أَمْ لَا. (٥٦)

وهذا ابنه الْحَسَن بْن عَلِيٍّ رضي الله عنهما، كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَكَانَ إِذَا أَتَى بَابَ الْمَسْجِدِ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: إِلَهِي عَبْدُكَ بِبَابِكَ، يَا مُحْسِنُ قَدْ أَتَاكَ الْمُسِيءُ. وَقَدْ أَمَرْتَ الْمُحْسِنَ مِنَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمُسِيءِ، فَأَنْتَ الْمُحْسِنُ، وَأَنَا الْمُسِيءُ، فَتَجَاوَزْ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدِي بِجَمِيلِ مَا عِنْدِكَ، يَا كَرِيمُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ. (٥٧)

وانظر إلى هذا المثال الرائع:

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلاً، وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلاً، فَقَالَ: ((مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟)) فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ))، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ، قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ؟ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ

---

(٥٥) شعب الإيمان (٣/ ٤١٥)

(٥٦) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٥٣٩)

(٥٧) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: ٥٣٩)

آخَرَ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ، فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَلاَ أَهْبَبْتَنِي قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ، **وَايْمُ اللهِ، لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا، أَوْ أُنْفِذَهَا.** (٥٨)

وهذا عروة بن الزبير رحمه الله :

لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه.

وربما ترقت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له: ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا! والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شرابا ويأكل شيئاً يذهب عقله، ولكن إن كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإني لا أحسن بذلك، ولا أشعر به.

قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان الحي، احتياطاً أنه لا يبقى منها شئ، وهو نائم يصلي، فما تضور ولا اختلج. (٥٩)

والحمد لله رب العالمين

(٥٨) رواه أحمد (٣/ ٣٤٤)

(٥٩) البداية والنهاية (٩/ ١٢٠)